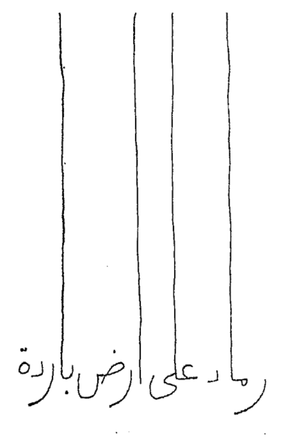
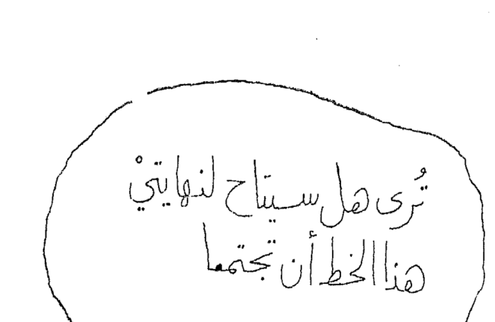
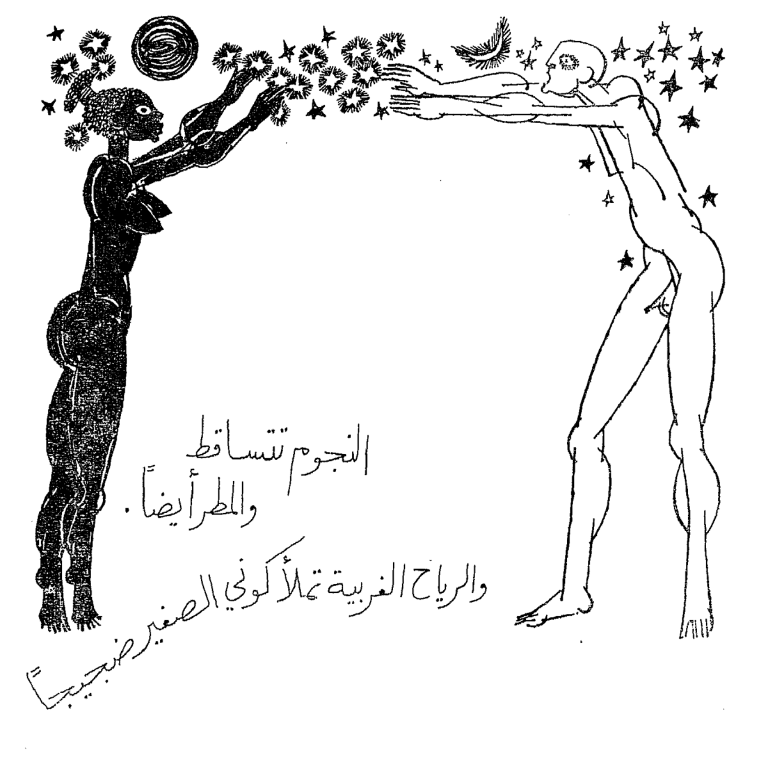

رماد على أرض باردة


رماد على ارض باردة

شعر: عبد القادر أرناؤوط
رسم: نذير نبعة


تُرى هل سيتاح لنهايتيْ
هذا الخط أن تجتمعا

السيدة السوداء


النجوم تتساقط
والمطر أيضاً.
والرياح الغربية تملأ كوني الصغير ضجيجاً

تكاد تمر العاصفة ، وقد أوشك الربيع أن يزهر
فيا سيدتي السوداء ، ذات الشفاه العارية
التي لم تمسسها يد إنسان
تعالي واقتربي مني
لأن أملأ صدري بصدرك ، وأقبل الفم الذي عبده أجدادك ، خير من أن أضم إلى صدري
تلك الزنبقة البيضاء التي لا تلبث أن تسقط إلى الأرض وتجرها الرياح الغريبة إلى بعيد
وأجُرُّ أقدامي إلى أبعد
ولا التقاء.

صوتك الدافئ يثير في نفسي صوراً الوالك ماعبدت ألوانها
فالغابة السوداء
والمطر الأزرق المتساقط على الرفوف الرمادية
والنقاط البنية من الصدأ
على سطح كوخ متواضع في قريتك
هي جزء من حياتي
وأنا أضمك إلى صدري
وأنت ترددين أغنية زنجية
ليس لها بداية
ولم أدرك نهايتها بعد

نقاط بنية

/

ويقال إنني كافر.

لاشيء يستحيل على هذا العالم الرمادي

المصبوغ بهباب المداخن

والذي لم تمسسه يد مؤمن بعد

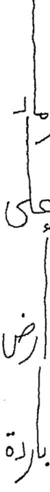
لترد إليه لونه النقي

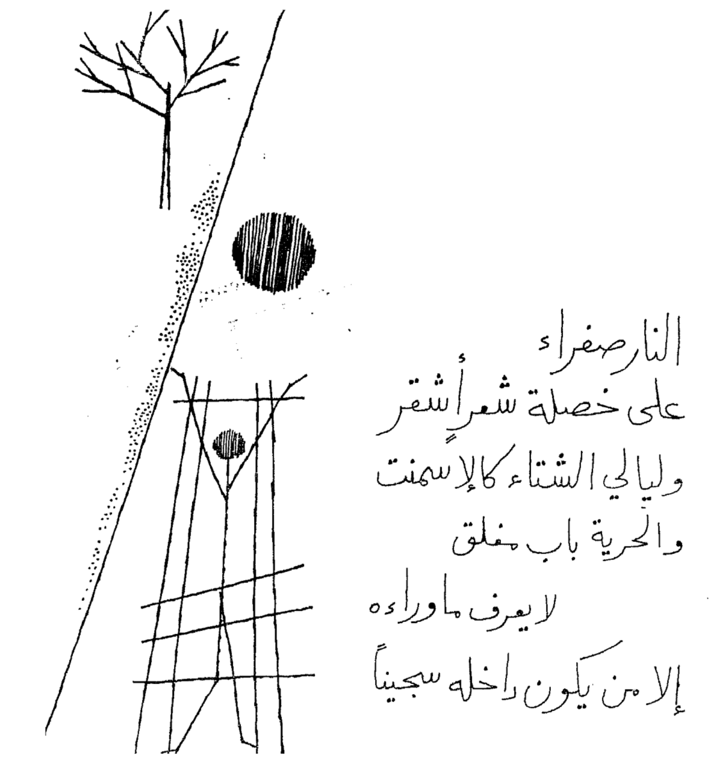
المطر لا يكفي
والشفة السفلى أيضا
وانت كما أنت لا تكفين
أريد شيئاً أذوب فيه
وأحمل الكثير منه هنا
في صدري •

ولكنني عندما أعود إليك
أعرف أنه عندما تمر الرياح الغربية
بجانب حجرتك الغافية على جبين اللهب
وتردد لك أغاني بلادك السوداء
تعيد لك
ذكرى الرجل الأبيض
الذي اغتصبك في الشارع الفارغ

وتركك بعد ذلك تسيرين بلا هدف

وتعودين إليه
لتجدي الباب ينصفق في وجهك
وترمي على الأرض
قطعة نقود صغيرة
لا تلفي لماع خاتمك الذي أعطتك إياه أمك
قبل أن تموت بحربة رجل أبيض
في افريقيا


رمال على أرض باردة


النار صفراء
على خصلة شعر أشقر
وليالي الشتاء كالإسمنت
والحرية باب مغلق
لا يعرف ما وراءه
إلا من يكون داخله سجيناً

وفي كل يوم

يصنع أخي الصغير

اسطورة جديدة

ويطعمنا إياها

خبزاً ... ولحماً

وأطفالنا يرددون أساطيرنا

ثم يحملون الخبز إلى الأعداء

كم أحببت أن أبقى
ولكن القاهرة رفستني بقدمها العارية
فوجدت نفسي
رماداً على أرض باردة

.

وفي المساء ... رجعت إليها
وعند الباب
أمسكني رجل أسود
ذو عينين صفراوين

وقذف بي بعيداً

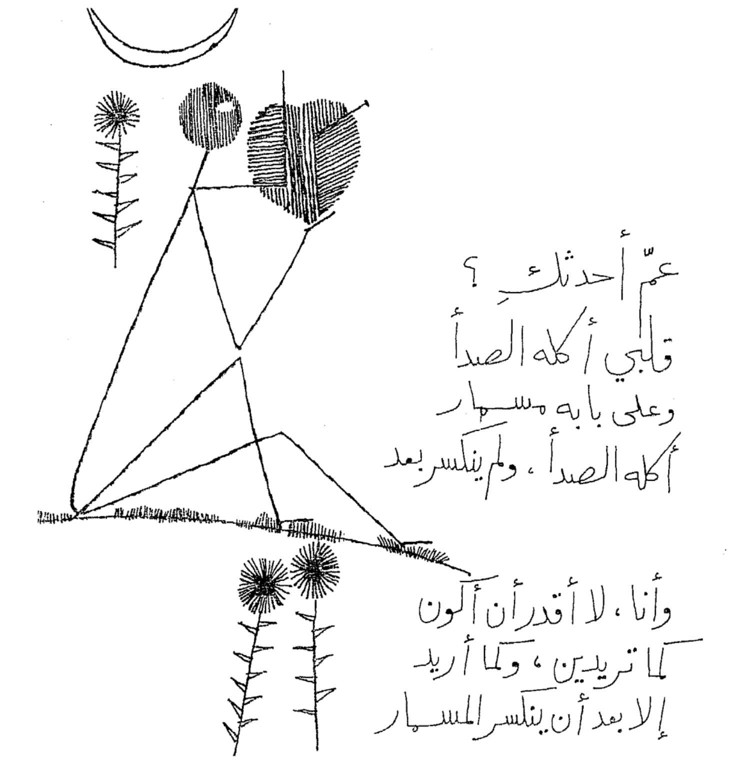
ووجدت نفسي

رماداً على أرض باردة

النار في صدري

وأنا آكل اللحم ... والخبز ... والرماد

المسمار الصدئ


عمّ أحدثك ؟
قلبي أكله الصدأ
وعلى بابه مسمار
أكله الصدأ ، ولم ينكسر بعد
وأنا ، لا أقدر أن أكون
كما تريدين ، وكما أريد
إلا بعد أن ينكسر المسمار

عندما كنت صغيراً

كنت أقبل كل ما يعطى إليّ

وفي يوم عادي ..... حسبته عاديا

أعطوني هذا المسمار

وقالوا لي : احتفظ به

وفرحت .

وخبأت المسمار في مكان ما .

لم أكن أعرف

ولم يكن يهمني أين خبأته

حتى رأيتك

وشعرت بالمسمار مغروساً على الباب

لستُ بائساً
ولستُ سعيداً
لأنني الآن لا أستطيع أن أفعل شيئاً
فإزاحة المسمار تكسره
ولا أريد أن ينكسر

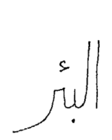
لأنهم أعطوني إياه مرةً
وأحببته
واعتدت على مكانه

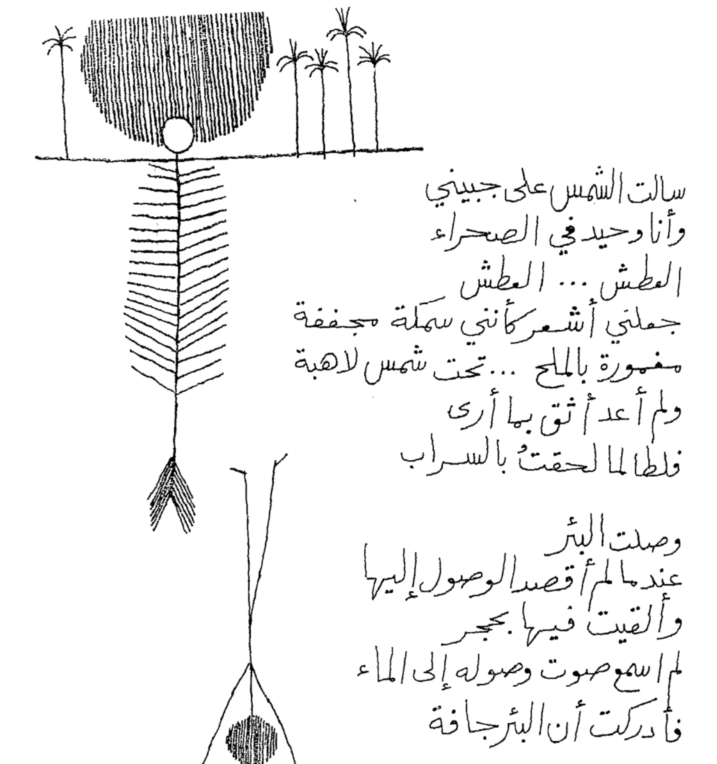
والناس
الذين أراهم كل يوم

يأكلون ويشربون
ويذهبون إلى أعمالهم
ويعودون إلى مشاكلهم .
كل واحد من هؤلاء
يملك مسماراً مثل هذا الصدئ
وأنا متأكد من أنه عندما أخذه أَحَبَّه .

ولكنني أشك في أنه خبأه في الموضع ذاته

الموضع الذي خبأته أنا فيه .


البئر


سالت الشمس على جبيني
وأنا وحيد في الصحراء
العطش ... العطش
جعلني أشعر كأنني سمكة مجففة
مغمورة بالملح ... تحت شمس لاهبة
ولم أعد أثق بما أرى
فلطالما لحقتُ بالسراب
وصلت البئر
عندما لم أقصد الوصول إليها
وألقيت فيها بحجر
لم اسمع صوت وصوله إلى الماء
فأدركت أن البئر جافة

ولكن الشمس كانت تتململ على عينيَّ
من قاع البئر
فتذكرت قول أمي
« ابدأ بالأشياء الصغيرة »
فألقيت بحصاةٍ في البئر
سرعان ما سمعت صوت وصولها إلى الماء

فضرحت
وأدليتُ بدلوي سريعاً
وغاب الدلو
وانتهى الحبل .. ثم انقطع
وهوى الدلو إلى الأعماق
دون أن يصل إلى الماء

وفي الوقت الذي كنت فيه
أموت من العطش
وبدأت نسور الصحراء
تحوم فوق رأسي
سمعت ضحكة ساخرة تنبعث من قاع البئر
تلاها صوت بعيد يقول:

- لقد تسرعت.... ابحث عن بئر أُخرى.



الخنجر

بِيَدي خنجرْ .. بيدي خنجرْ
ذهبي القبضة لماعُ
يتلألأ في وجه الشمسِ
يعمي عينين بلا حسٍ
وأنا أغرسهُ،
أدفنه في نحري
بِيَدي خنجر .. بيدي أحلامي
أزرعها في صدري
وأراها تزهرُ سيلاً أحمر

يتدفق فوق قميصي
يصبغهُ
ويسيل ولا أشعرْ
فدمي لا لون لهُ
وأنيني ضاعَ فلا أدري إن كنتُ أنا أزفرْ.

الخنجر يلهو في صدري
وأنا لا أشعر بالألمِ
ويغيب النصلُ... تغيب بقايا النصلِ... تغيب القبضة
وأنا بيدي.. أقتلعُ أماني الفضة.

الخنجر يمتصُّ دمي
يحفر في قلبي فجوه
يتدفق منها سيلٌ أحمرْ
والخنجر يلْمِلُ لهوه.

وأعود أرى كفي فارغةً
لا خنجر فيها أو دمْ.
وأحاول أن أبكي
وأحاول عبثاً أن أندمْ
أو أتألمْ
أتحسس وجهي بيدي
وأحاول أن أجد عيوني
في كومة لحم
ما عدتُ بها أشعرْ

وتغيب يدي
تتغلغلُ في أعماق المحجرْ
وأحس بوقع أظافرها
في عظمي
وتظل تغيب وتنقر جدران المحجرْ
بأظافرها
وأنا لا أشعر بالألمِ

لا عين ولا قلبُ
فلقد مات بداخلي الربُّ


اللمس

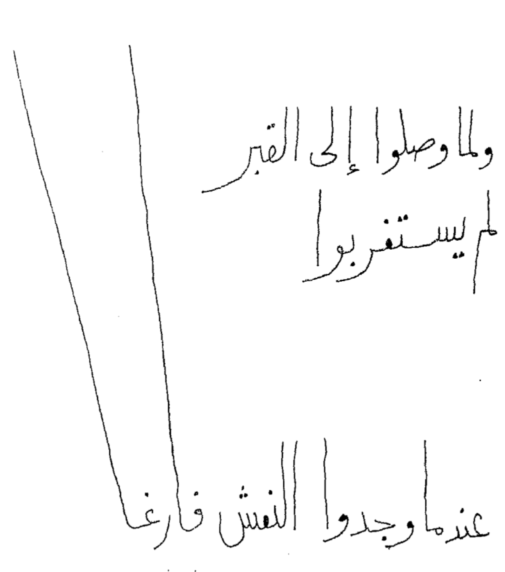
نعش أزرق
يحمله أناس ذوو وجوه طويلة
وعيون بلا حدقات
وأنوف مخزومة بالسلاسل

ويسيرون به
على جسدي
وتحتي مسامير طويلة
تنغرس في أقدام السائرين
وتدميها
وأنا لا أشعر بها

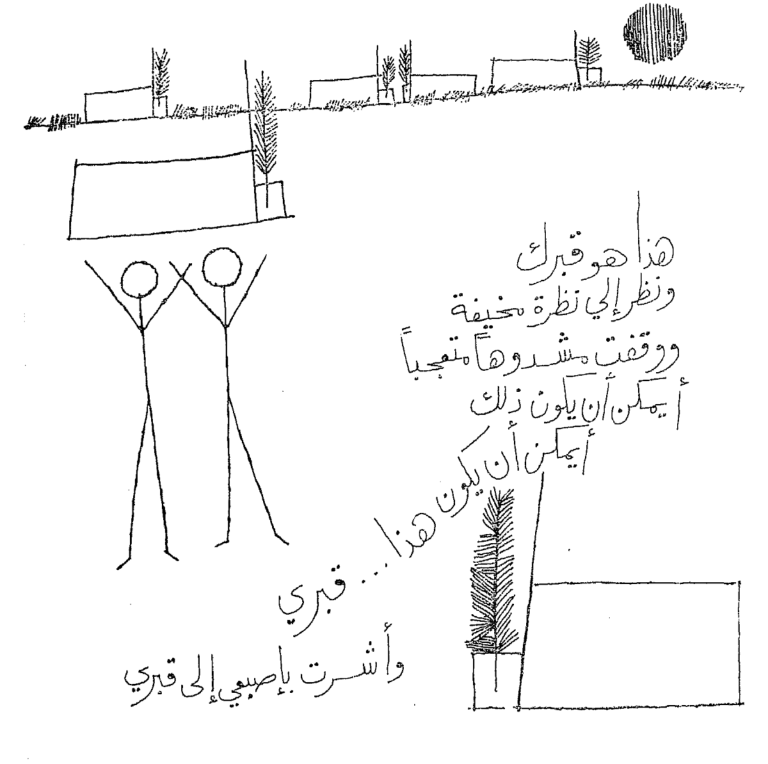
مرت العربة
عجلاتها لامعة برّاقة
وقسمتني إلى قسمين
يفصل بينهما شريط أزرق
كنت أحسب أنه دمي
ولكنني تذكرت
أنهم قد امتصوا دمائي البارحة
ووضعوا في شراييني
هذا السائل الأزرق

حوافر الحصان
تنغرس في عينيّ
وأرى الشمس تنبثق منهما
سائلا أزرق
يغرقني

ثم سار الناس
وظللت في مكاني
أتخبط في دمي الأزرق
دمي الجديد


ولما وصلوا إلى القبر
لم يستغربوا
عندما وجدوا النعش فارغا

القبر


هذا هو قبرك
ونظر إلي نظرة مخيفة
ووقفت مشدوهاً متعجباً
أيمكن أن يكون ذلك
أيمكن أن يكون هذا ... قبري
وأشرت بإصبعي إلى قبري

كان مشابهاً للقبر الذي بجانبه
مشابهاً للقبور كلها .
وعجبت لشعوري بأنني غريب
عن المكان الذي أشير إليه

في الصباح ، أتى إلي وايقظني
ولكنت ما أزال أحلم
عندما أنبأني بموتي
وبأنه عائد من جنازتي
وقال إن كثيراً من الناس كانوا هناك
وقد علموا بموتي .. وحزنوا

وأمسك بيدي
ليدلّني على قبري ...
دخلنا المقبرة
لم أكن أعرف أنها كانت هنالك

ولكن صديقي قال:
- لا فائدة الآن، فقد علم الجميع بموتك.
وبدا لي موتي أمراً حتمياً.
وودعت صديقي.

وقبل أن أدخل إلى الحفرة ... لمع في خاطري سؤال

- متى نجتمع ثانية يا صديقي ؟

- الآن عندما تدخل ...

لا تنس أنني مت قبلك

- نعم ... نعم ... إنني أذكر

ولكن قل لي

أين قبرك ؟ ... هل هو بعيد ؟

- بعيد ! .. أنسيت ذلك أيضاً ؟

إنه القبر الذي تدخل إليه .

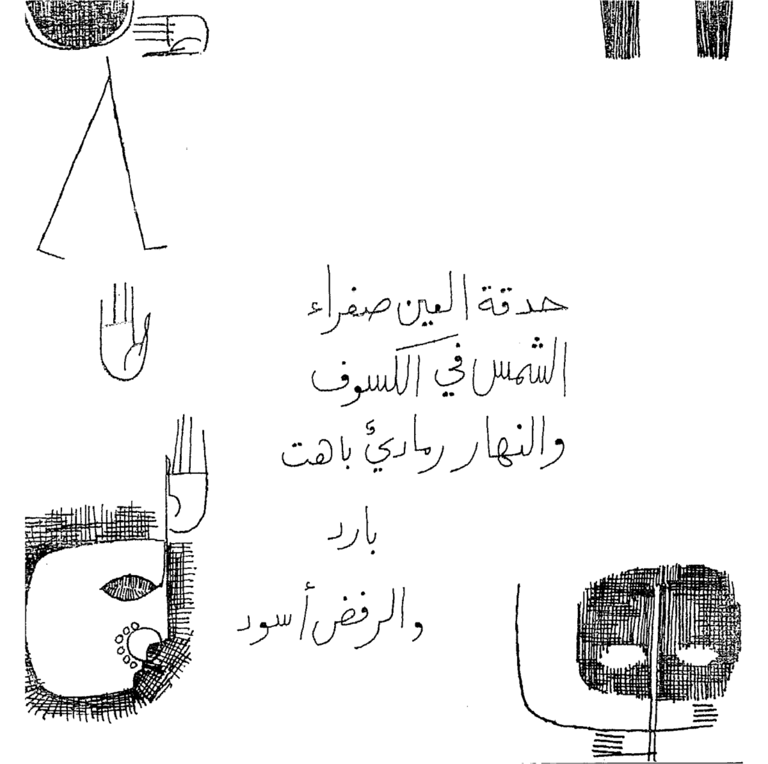


في الدرب ... ولم يكن هناك أحد
هاجمني رجل طويل
أسود
ولم يطلب مني شيئاً
ثم تركني بعد أن رأى على
[illegible]
فمشيت
وأنا أحس بأن كل حجر
على الأرض ... وفي الزوايا
هو رجل طويل أسود

وعندما وصلت إلى الفندق
لم أجد أحداً
كان مختوماً بالشمع الأحمر
وملابسي كلها في الداخل
والمطر ينهمر في الزقاق
وأنا مع المطر
أملأ البـــــاب بالطرقـــات

كنت غريباً .... وأردت أن أعود.

الرفض


حدقة العين صفراء
الشمس في الكسوف
والنهار رمادي باهت
بارد
والرفض أسود

الرفض ينهشني

يفتتني

يحيلني إلى كومة لحم

لاحس فيها

يدي مقطوعة تتسلق الجدار

تضرب في أركان الغرفة

باحثة عن الأجزاء الأخرى

عيناي جاحظتان

في زاوية معتمة

بحدقتين صفراوين لامعتين

تنظران ... ولا تملكان إلا النظر

قدماي منتصبتان
كأنما تهمان بالمسير
وليس فوقهما شيئ

وتبقى عيناي جاحظتين في زاوية معتمة
لا تملكان إلا النظر.

دمي يتجمع
ويسير نحو البالوعة
لا أحد يوقفه
يترك على الأرض خيطا أحمر
لا يستطيع أن يأخذه معه

لساني معلق على الحائط .. وقد ثقبه مسمار
إنه يتحرك. وتضيع الكلمة
لأن أذنيّ قد تحولتا إلى صدفتين مغلقتين على بعضهما بإحكام

أنفي مخزوم بأساور ذهبية

كانت فيما مضى

هدايا

وجرذ أسود كبير

يقتات من أنفي

ويدميه

صدري .. كتفي .. كبدي .. وبقية أعضائي

لم تعد تعرف بعضها

ودمي ليسيح

يتجمع حول البالوعة

تاركاً وراءه خيطاً أحمر

لا يستطيع أن يأخذه معه.

وعنكبوت الرفض

نسج لنفسه عشاً في السقف

ووقف يتأمل

ويضحك باستمرار.

الرحيل

عندما أُجبرتُ على الرحيل
تركت في بيتنا صندوقاً صغيراً
زينته بالصدف
ولونته باللون البرتقالي
وسمَّرتُهُ بمسامير سوداء، عريضة القمم
ووضعت عليه قفلاً صغيراً
مفتاحه في صندوق آخر
ومفتاح ذاك في صندوق آخر
ومفتاح الآخر في صندوق أخير
وضعتُ فيه المفتاح

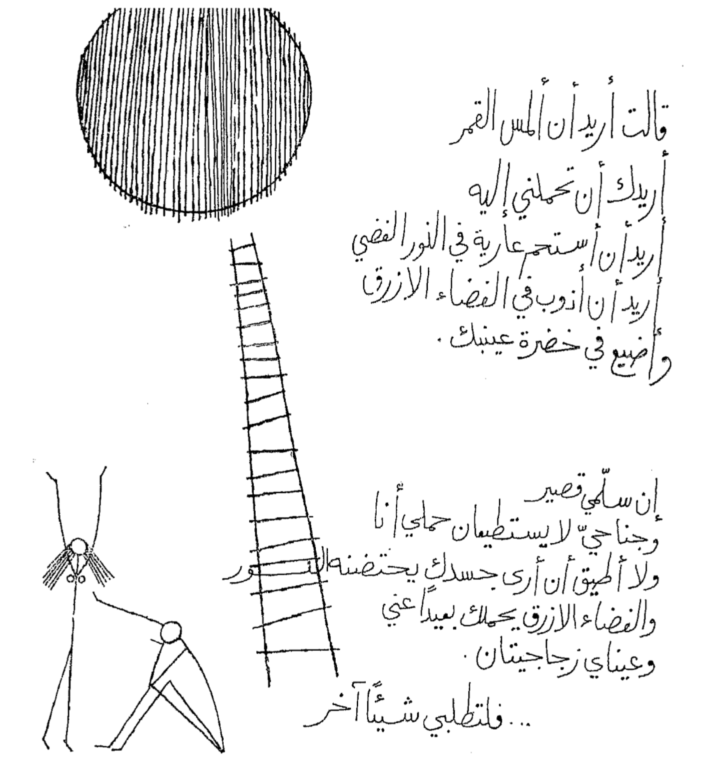

وأما الصندوق الأول
البرتقالي اللون
وذو المسامير السوداء المريضة القمم
فقد تركت فيه ... قبل أن أرحل
حفنة من كبرياء ... وكثيراً من نفسي
وأغلقت الصندوق ... وذهبت
وعلى الجدار المرتفع
وقفت ثلاث قطط سوداء
تموء في الليل
وتلمع عيونها في الظلام



وتمنت فاطمة لو كانت بقرة أو ثوراً ليعطف عليها زوجها إذا مرضت

ثم رأت في حلمها أنها بقرة
وأن زوجها يقودها إلى الجزار
لأنها عجوز


وكان زوجها خادماً في قصور آل عثمان
فلما انقضى زمانهم
نصّب نفسه سلطاناً على زوجته


قالت أريد أن ألمس القمر
أريدك أن تحملني إليه
أريد أن أستحم عارية في النور الفضي
أريد أن أذوب في الفضاء الأزرق
وأضيع في خضرة عينيك .
إن سلّمي قصير
وجناحيّ لا يستطيعان حملي أنا
ولا أطيق أن أرى جسدكِ يحتضنه النـور
والفضاء الأزرق يحملك بعيداً عني
وعيناي زجاجيتان .
... فلتطلبي شيئاً آخر



عيناك خريف رمادي
يحيلني الى ورقة ذابلة
تكره موضعها على الشجرة
ولم تسقط إلى الأرض بعد

مدينتي قاتمة
تسيل فيها أنهار سود
وأنا أسير مغمض العينين
في شوارعها

تتعب قدماي
وأفتح عيني
فأجد نفسي على عتبة بابك
ما أسعدني.

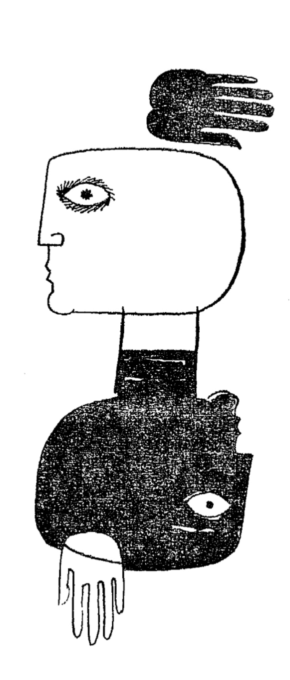

رغباتنا مصلوبة بلا خطيئة
وكل إصبع ينبت خمسة
ويستمر الانتظار

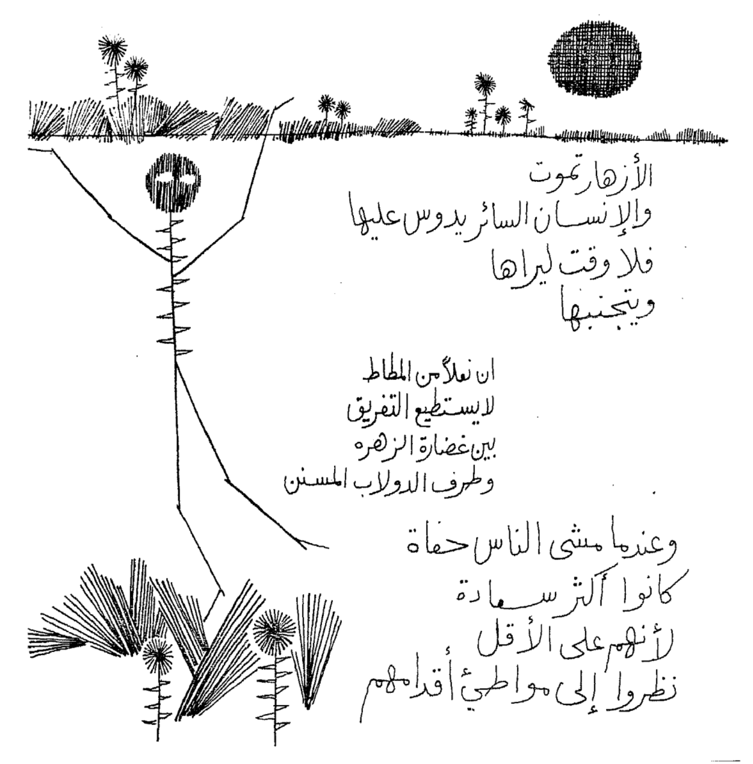

ضاعت ، وبعدها بعثت
الشمس
والازهار التي يحملها الأطفال
هي الموت ، والبعث

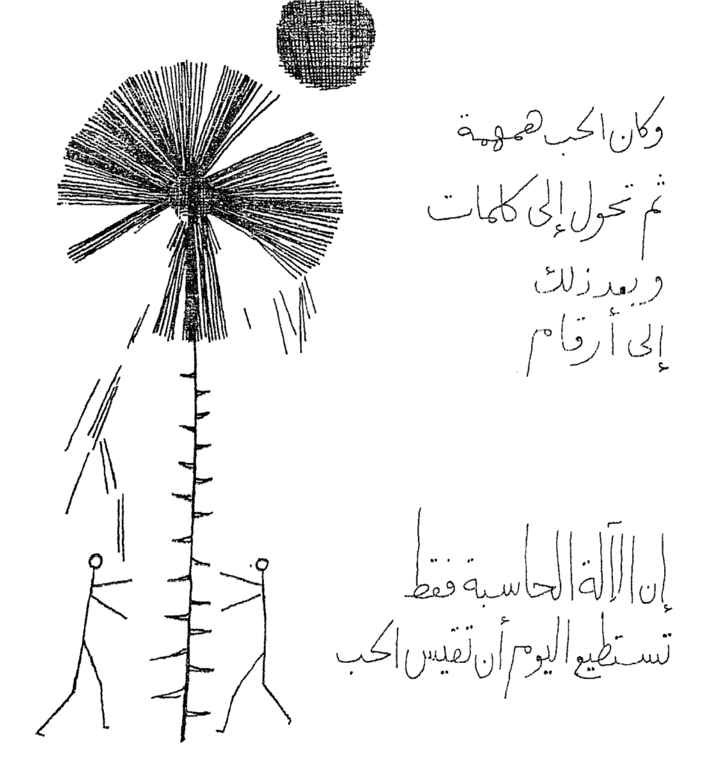

تلفتُّ الى الوراء
فوجدت ظلي متخلفاً عني
فتابعت طريقي وحيداً

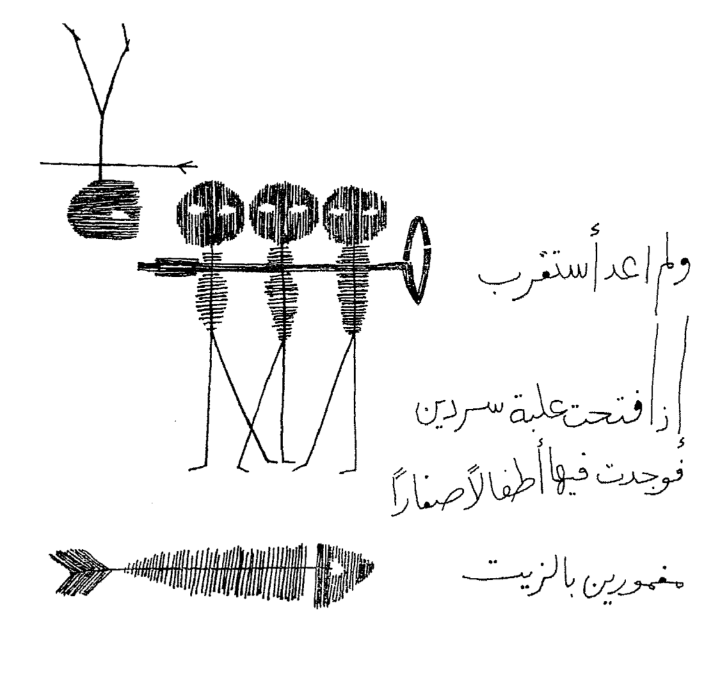


أروي طرفة
أغطي بها موقفاً
ويزول شك الآخرين
ولكنه بزواله
يزرع الشك في نفسي

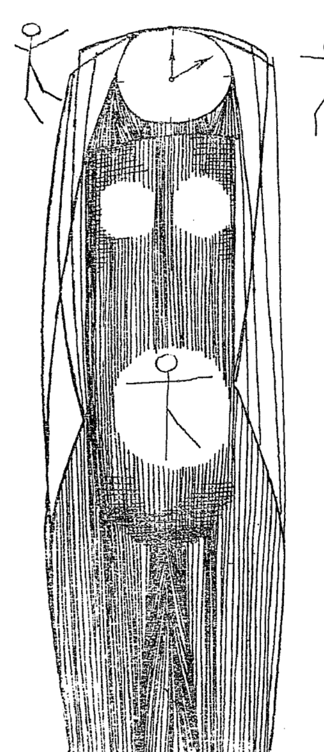



الأزهار تموت
والإنسان السائر يدوس عليها
فلا وقت ليراها
ويتجنبها
ان نعلاً من المطاط
لا يستطيع التفريق
بين غضارة الزهره
وطرف الدولاب المسنن
وعندما مشى الناس حفاة
كانوا أكثر سعادة
لأنهم على الأقل
نظروا إلى مواطئ أقدامهم

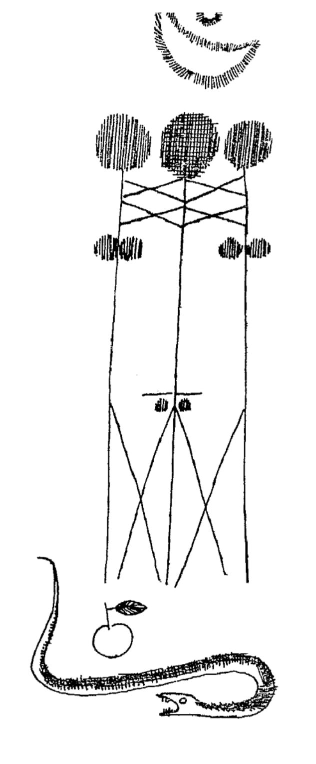

وكان الحب همهمة
ثم تحول إلى كلمات
وبعد ذلك
إلى أرقام
إن الآلة الحاسبة فقط
تستطيع اليوم أن تقيس الحب



ولم اعد أستغرب
إذا فتحت علبة سردين
فوجدت فيها أطفالاً صغاراً
مغمورين بالزيت

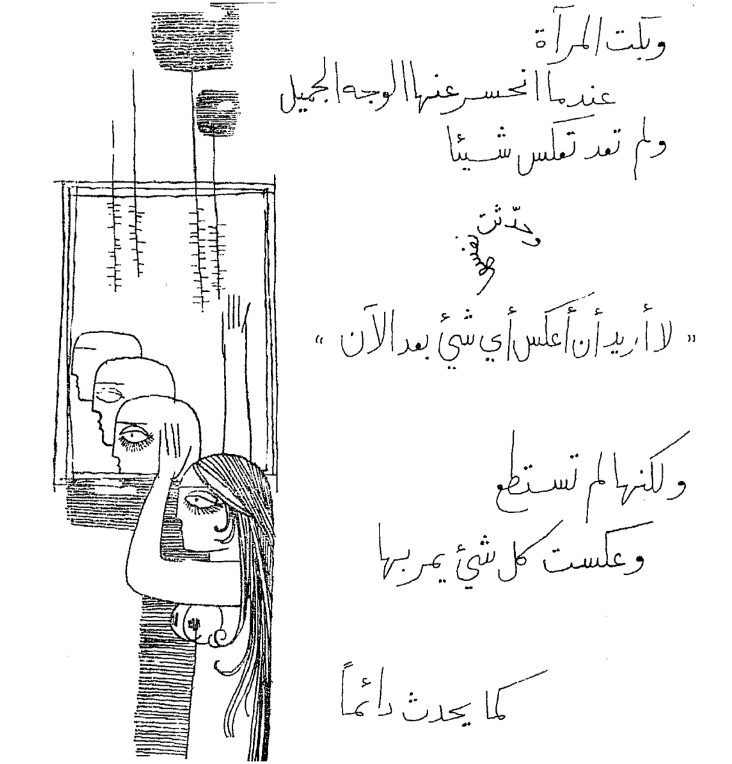


ويظل الزمن
مومسا عمياء
تبحث بين اطفالها الكثيرين
عن ابنها الشرعي.

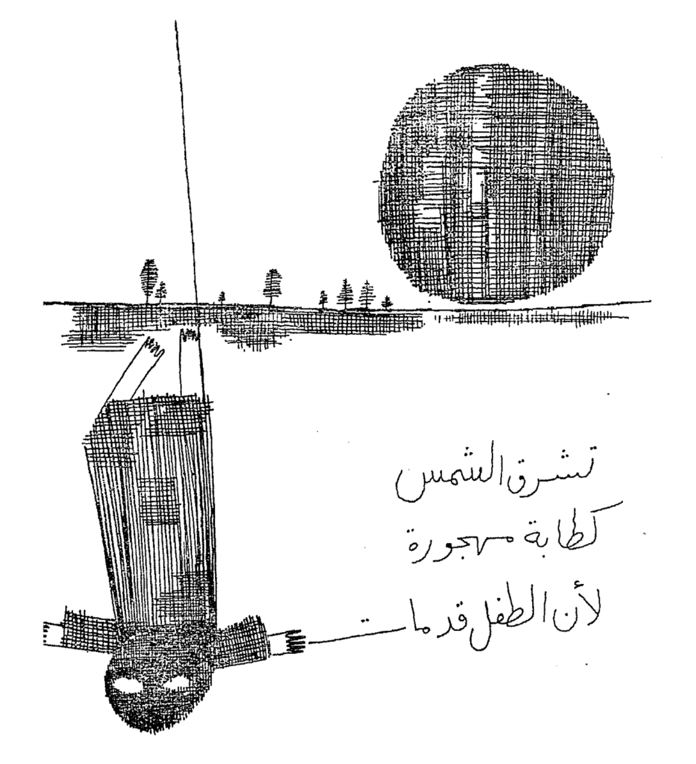


ومنذ أن أكل آدم التفاحة
وهو يبحث عن تفاحة أُخرى
وتزداد خطاياه
والله يضحك

لقد وصل إلى ما يريد



وبكت المرآة
عندما انحسر عنها الوجه الجميل
ولم تعد تعكس شيئاً
وحدّثت نفسها
« لا أريد أن أعكس أي شيء بعد الآن »
ولكنها لم تستطع
وعكست كل شيء يمر بها
كما يحدث دائماً


تشرق الشمس
كطابة مهجورة
لأن الطفل قد مات


الموت طفل أعمى
يحب اللعب مع الأطفال الآخرين
ولكنه حزين
لأن الأطفال يكرهونه
والأمهات يطردنه من الحي


لأن الحقيقة ماتت

بزغت الشمس من الشمال
كانت زرقاء ساطعة
لخرزة العين
تتوهج نارًا باردة
فتأمّلها الناس بلا اكتراث
ولبسوا معاطفهم
ولم يستغرب أحد
لأن الحقيقة ماتت...

وحول غرفة المرأة الحامل

تجمع الناس بلهفة

فولدت عجوزاً بيضاء الشعر

حملت أمها وخرجت إلى الناس

ولم يستقرب أحد

لأن الحقيقة ماتت

لم يعد الربح يعني شيئاً
ولا الخسارة
واهتز الخط الفاصل بينهما
ثم انقطع

لأن الحقيقة ماتت

لأن الحقيقة ماتت
وكانت في مخيلتنا شمساً
وفي قلوبنا ناراً

صريحة كالولادة
دقيقة كالحساب

لم يعد يهمنا
إذا لم يصدقنا الآخرون

صمم الغلاف : عبد القادر أرناؤوط

الصورة الفوتوغرافية: مروان مسلماني

زنكوغراف: أمين أيوبية


Bibliotheca Alexandrina
0633327